الوقت ليلاً، والأطفال نياماً، ووردة الجميلة تمشّط شعرها الأسود أمام صوان الملابس..

قالت وهي تلتفت عندما رأته يدلف الغرفة حيث كانت تنتظر: «هل جلبتَ ما أوصيتك به؟».

طفق يحكّ ذاكرته، قائلاً في نفسه: «بحق الشيطان بماذا أوصته؟!».

عادت تردّد بصوت أغنّ مصحوبٍ بطرقعات اللبان: «هل نسيت، أم ثمّة واحدة أخرى أخذتك منّي؟!».

قال القرين معتذراً: «لقد نسيت الحاجيات في دكان صاحب من أصحابي..».

قالت بسخرية: «لتذْهب إلى دكّان صاحبك، ولا تعدْ إلاّ إذا جئت بالحاجيات».

ارتدى القرين معطفه الثقيل وهمّ بتقبيلها فدفعته بيدها، وتكوّمت فوق السرير واجمةً. انساب في الزقاق الذي صار مقفراً.. فكّر في الطريق الطويل الذي يفصله عن الجبانة حيث صاحبه والأرواح في انتظاره.. وقال: «الطريق طويل، عَلَيَّ بدراجة نارية امتطيها إلى هناك..».

قلّبَ بصرَه فيما حوله. رأى أكواخ الصفيح السوداء متناثرة هنا وهناك.. وفي هذه الأثناء وقع بصره على دراجة نارية مربوطة بسلسلة معدنية إلى شجرة توت.. اقترب منها، وشرع يقلّب بصره هنا وهناك يستطلع المكان.. وبينا هو كذلك باغته نباحُ كلب شرس.. توقّف مفزوعاً، وبصق على صدره المشعر..

قال بحنق: «هذه الليلة يعاكسني الحظّ.. ماذا أفعل بهذا الكلب اللعين؟!».

اقتعد مصطبةَ أحد البيوت، وشرع يفكّر في طريقة يسيطر بها على الكلب..

قال في نفسه: «عليَّ بابتياع زجاجة نبيذ، ورغيفاً من الخبز.. أنقع الرغيف في الخمر وأقدمه إلى الكلب. وعندما يسكر أكسر السلسلة وامتطي الدرّاجة..».

امتطى الدرّاجة وطار بها إلى المقبرة، بعد أن ازدرد الكلبُ الرغيفَ المنقوعَ في الخمر.. ولكنْ في دروب البلدة الملتوية فقد القرينُ ذاكرته. لم يعد يذكر شيئاً عن وردة الجميلة التي تنتظره، وصاحبه والأرواح.. كان متشبثّاً بمقود الدرّاجة النارية ذات الصوت الأجشّ، يملأ الضبابُ عينه.. وعندما أخذه الإعياء، توقّفَ وأسندَ الدراجة على جدار.. قرفص فوق الرصيف، واضعاً رأسه بين كفّيه، وشرع يُعْوِل.

طرابلس الغرب

نون المعذّب

أديب كمال الدين

(١)

بائي باءُ الغدر ونوني نونُ المجهولْ
أتفيأ موتي منتظراً
حبراً من نور.

(٢)

لا بأس إذا ضحكتْ منّي
صاحبةُ النون وواستني
في غرفتها سرّاً
لا بأس إذا نزعتْ
سرّتها وانتبهتْ لعذاب العرجون.

(٣)

أقترحُ اليومَ لها حبّاً من طينْ
هذي النون المفتونة بالفتنة والموتْ
وأضيء لها بحراً مزدحماً بشموعٍ وأنينْ

(٤)

لا بأس فسيّدتي أحيتْ في حرفي
كلّ عذاباتي الممتدّة من حتفي حتى..... حتفي.

(٥)

الكاف إلهي – فانتبهوا يا موتاي – الراء اسمي..
ضاع كما ضاع البحرُ على سجّادة موتي
والألف أنا: مجهولٌ في هيئة شاعرْ
وإلهٌ في هيئة مجهولْ
والباءُ حبيبة قلبي ضاعت في دائرة الحوتْ
والحاءُ أبي
والعينُ عيونٌ من جدّي
والهاءُ همُ موتاي الأحياء اخرسّوا وقت النطق وضاقوا
بالساعة، والساعة قائمة، فانتبهوا
للنون تجيء من الأقصى.
هل تحرقني النون
أم تتركني أنزفُ في السرّ على سجادة موتي؟

(٦)

لا معنى لي إلاّ في حرفي
مرّت سنةٌ عاريةٌ من عمري، مرّتْ عشرونْ
الحرف أنا: متهمٌ بجنونِ الراءِ، صهيلِ الألف،..
بكاءِ الباءِ، ربيعِ الكافِ، نزيفِ الحاءِ، صمودِ العين،..
انتبهوا
إذ تسرقني النونُ إلى عربي اليومي، أضيع وأفنى
انتبهوا رأسي فوق الرمح إلهٌ يبحث عن معنى!

بغداد